التوجيه اللّغوي
للقراءات القرآنية
عند الرضي
في "شرح الكافية"

إعداد

د. محمود عواد جمعة

كلية الإمام الأعظم

Abstract

These linguistic issues are linked with the recitations & recitations, in their turn, are linked with dialects to ease the reading of the holy Koran to Arab tribes the Koran has been descended in their language. This is supported by the following Quranic verse "We have eased the Koran for recitation, so is there any wise who reads".

Despite all these facts, some have denied the chronological embracing of recitations, such as Imam Al-Ridha who has blatantly stated and in more than one occasion his denial of this phenomenon. Nevertheless, he has mentioned more than (50) recitations, some according to the seven types of recitations, some individualistic and other anonymous. His dependence on these recitations clearly shows the significance of recitations in the linguistic lesson and their facilitating the students' understanding of the linguistic rules.

The methodology adopted in this paper is as follows; an introduction followed by the linguistic issues according to their mentioning in the explanation and finally the conclusion. There are some remarks I should highlight; firstly, I have not translated for those recitors for their reputation, I depended, in tracing back recitations, on the books of narrator, in their linguistic formulation on books of justifications, secondly, I have mentioned the statement (others have read), where I meant the seven recitations.

ملخص البحث

إن صلة القراءات باللغة العربية صلة وثيقة لا تنفصل عنها، إذ ما القراءات إلا وجوه أداء كلمات القرآن، وكيفية النطق بها يؤيد هذا ما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرؤوا ما تيسر منه))(١).

إن هذه المسائل اللغوية مرتبطة بالقراءات، والقراءات لها ارتباط باللهجات؛ وذلك لتيسير قراءة القرآن على القبائل العربية التي نزل القرآن العظيم بلسانها؛ تصديقا لقوله تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ [القمر: ١٧] ومع هذا كله

(١) صحيح البخاري، ٦/ ١٨٤ ، برقم (٤٩٩٢) باب أنزل القرآن على سبعة أحرف.

وقف بعضهم موقف المنكر لتواتر القراءات، ومن هؤلاء الإمام الرضي الذي ذكر بصريح العبارة وفي أكثر من موضع إنكاره لتواتر هذه القراءات، وهذا لم يمنعه من ذكر أكثر من خمسين قراءة سبعية وانفرادية وشاذة.

إن اعتماد الرضي وغيره على القراءات يدل بشكل واضح وجلي على أهمية القراءات في الدرس اللغوي وتقريب فهم القاعدة اللغوية إلى طالب العلم.

أما خطة بحثي فهي: مقدمة، ثم المسائل اللغوية بحسب ورودها في الشرح، ثم خاتمة، وهناك ملاحظات لابد لي من ذكرها: لم أترجم للقراء لشهرتهم، اعتمدت في تخريج القراءات على كتب الرواية، وفي توجيهها اعتمدت على كتب الحجج وغيرها، وذكرت عبارة (وقرأ الباقون) وأردت بهم القراء السبعية.

هذه هي أغلب المسائل اللغوية الواردة في شرح الرضي ما عدا المكررة.

المقدمة

الحمد لله الذي نَوّر الإنسان بنور العلم والإيمان ، وعلّمه التأويل والبيان، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للأنام.

وبعد، فمما لا يخفى على إنسان أن من أعظم العلوم علوم القرآن ومعرفة أَسرار إعجازه وبيانه، ومنها علم القراءات وما فيها من توجيه لغوي ونحوي قد تخفى على بعض طلبة العلم ، ومن هذه الأسرار معرفة أوجه القراءات ومالها من تيسير لقواعد النحو واللغة والمعنى والتي هي آلات لحفظ القرآن وتيسير فهمه.

إن صلة القراءات القرآنية باللغة العربية صلة وثيقة لا تنفصل عنها. إذ ما القراءات وجوه أداء كلمات القرآن وكيفية النطق بها، ويؤيد هذا ما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:- ((إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه))[1] فقد فسرها بعض العلماء على أنها سبع لغات من لغات العرب ، وقد أقرّ النبي قراءات الصحابة الكرام كما في صحيح البخاري.[2] ومن هذه الصلة البحث

(١) صحيح البخاري: ٦ /١٨٤ برقم (٤٩٩٢) باب أنزل القرآن على سبعة أحرف.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٨٤/٦ ، ١٨٥.

اللغوي للقراءات المتواترة والشاذة التي وردت في شروح العلماء. ركزت المسائل اللغوية في قراءات شرح الرضي على: همزة الوصل وتركها، ورواية التنوين وبغير التنوين، وسكون الياء وفتحها، وكسر النون وفتحها، ووصل هاء الكناية بواو أو بياء، والتنوين وحذف إحدى الهمزتين، وبالألف المقصورة وغيرهم بالتنوين، وبتاء الخطاب وغيرهم بياء الغيبة، وقصر الهمزة ومدها، وفتح النون، وكسر عين (نعم) وقراءة غيرهم بكسر النون وإسكان العين، وبعضهم بكسر النون والعين، وغيرها من المسائل.

إن هذه المسائل اللغوية مرتبطة بالقراءات القرآنية ، والقراءات القرآنية مرتبطة باللغات واللهجات العربية ؛ وذلك لتيسير قراءة القرآن على القبائل العربية التي نزل القرآن العظيم بلسانها؛ وذلك تصديقاً لقول الله تعالى: ((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)) القمر١٧. هذه القراءات كلها توافق لغات ولهجات العرب بوجه من الوجوه كالإمالة أو التفخيم من جهة والترقيق من جهة أخرى ، أو من حيث التشديد والتخفيف ، أو من حيث التسهيل أو التحقيق. وهي مسائل مرتبطة بالجانب اللغوي والجانب المعنوي لكل قراءة.

إن معرفة أوجه القراءة الواحدة تدلنا على معانٍ عدة تعين على فهم القرآن الكريم مع ذلك وقف بعض من يعتقدُّ بعلميتهم موقف المنكر لتواتر هذه القراءات ، ومن هؤلاء الإمام الرضي في شرحه كتاب الكافية في النحو (لابن حاجب) فقد ذكر في أكثر من مرة و بصورة صريحة إنكاره لتواتر القراءات ، وهذا لم يمنعه من ذكر أكثر من خمسين قراءة توزعت بين القراءات السبع وبين الانفرادية والشاذة وبعض القراءات التي لم أجدْها فيما وقع بين يدي من كتب القراءات.

ومن خلال ما تقدم نهض علماء العربية في خدمة كتاب الله من جوانب عدة منها الجانب اللغوي. إذ كان للتوجيهات اللغوية للقراءات القرآنية أثر عظيم في خدمة القرآن الكريم، وضرورة إيجاد التفسير والمعنى لكل قراءة وردت عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– الذي لا ينطق عن الهوى كما جاء في قوله تعالى ((وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى *إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)) النجم:٣–٤، وهذه التوجيهات لا تعني

بالضرورة وجود خلاف في المعنى بل وجدت أكثرها مرتبطة بتغير اللغة لا بتغيير المعنى. ومن هنا فقد اعتمدت على أهم المصادر في توجيهات هذه القراءات ومنها: كتاب التيسير في القراءات السبع (لأبي عمرو الداني ، ت ٤٤٤هـ)، وكتاب الحجة في القراءات السبع (لابن خالويه ، ت ٣٧٠هـ)، وكتاب المُحْتَسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (لأبي الفتح عثمان بن جني ، ت٣٩٢هـ)، وكتاب السبعة في القراءات (لابن مجاهد ، ت٣٢٤هـ)، وكتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها (لأبي محمد بن أبي طالب القيسي، ت ٤٣٧هـ) وكتاب حجة القراءات (لأبي زرعه عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة)، وغيرها من الكتب المعتمدة.

لقد انبرى هؤلاء العلماء المؤلِّفون على توضيح هذه الصلة المترابطة بين القرآن واللغة والنحو العربي من خلال وضع كتب خاصة بالتفسير والمعنى وشرح الألفاظ كلها تصب في خدمة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل العزيز الرحيم.

وقد فرق العلماء بين القراءات وقسموها على قسمين: القراءات الصحيحة ، والقراءات الشاذة. فالقراءة الصحيحة ما توافر فيها شروط ثلاثة:

١- تواتر القراءات عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

٢- موافقة رسم المصحف.

٣- موافقة اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه.(١)

أمّا القراءة الشاذة عندهم فهي ما فقدت شرطاً من هذه الشروط الثلاثة السالفة الذكر.

ومن هنا يتضح لنا أنّ التواتر عنصر من عناصر صحة القراءة ولكن هذا التواتر أنكره الإمام الرضي في شرحه لعبارات واضحة بقوله: " ولا نسلّم تواتر القراءات السبع ، وإن ذهب إليه بعض الأصوليين " وهذه العبارة وجدتها في أكثر من موضع من الجزء الثاني.

---

(١) ينظر: النشر: ٩/١.

إن هذا الشرح يعدّ موسوعة علمية في بابه من حيث القواعد والمصطلحات ونقل الآراء والتفاصيل والترجيح والرد ونقل أقوال العلماء الذين سبقوه وإيراد القراءات القرآنية فكان من الجدير أن أحصى هذه القراءات إحصاء دقيقاً من خلال جرد الأجزاء الأربع من خلال دراستي للمصطلح النحوي عند الرضي في أطروحة الدكتوراه، ووجدت أنّ أغلبها قد وجهها العلماء في كتب الحجج والقراءات وإعراب القرآن الكريم وعلوم القرآن.

إن اعتماد الرضي وغيره من العلماء على القراءات القرآنية يدل بشكل واضح وجلى على أهمية هذه القراءات في الدرس النحوي واللغوي وتقريب فهم القاعدة اللغوية إلى طالب العلم الذي قد لا يسعفه فهم المعنى من اختلاف القراءات ، وهذا قد أدى إلى وجود أكثر من قاعدة أو معنى في فهم القراءات.

والإمام الرضي قلّ مَن ذكر شيئاً عنه ، وهذا لا يمنع من ذكر ما وجدت عن حياته وكتابه ومنها ما جاء في كتاب البغية: فالإمام الرضي هو: محمد بن الحسن الأستراباذي (ت٦٨٦هـ) صاحب شرح الكافية لابن الحاجب، الذي لم يؤلف عليها، بل ولا في غالب كتب النحو مثلها، جمعا وتحقيقا، وحسن تعليل، وقد أكب الناس عليه، وتداولوه واعتمده شيوخ هذا العصر فمن قبلهم، في مصنفاتهم ودروسهم، وله فيه أبحاث كثيرة مع النحاة، واختيارات جمة، ومذاهب ينفرد بها، ولقبه نجم الأئمة، ولم أقف على اسمه ولا على شيء من ترجمته، إلا أنه فرغ من تأليف هذا الشرح سنة ثلاث وثمانين وستمائة، وله شرح على الشافية.[1]

وفي هذا البحث أردت أن أذكر التوجيه اللّغوي للقراءات السبع وغيرها عند الرضي في شرح الكافية ، وأن إنكار الرضي لتواتر القراءات لم يمنعه من إيراد هذا الكم الهائل من القراءات بل هو يرجح قراءة على أخرى ولاسيما إذا كانت سبعية.

ابتدأتُ بحثي بتمهيد ، ثم المسائل اللغوية بحسب ورودها في شرح الرضي. ثم خاتمة.

(١) بغية الوعاة: ١/ ٥٦٧ – ٥٦٨، وينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٥/ ٣٩٥.

وهناك ملاحظات لابد لي من ذكرها وهي:

- لم أترجم للقراء لشهرتهم.
- أردت من البحث تخريج القراءات من كتاب الرضي، وتوجيه هذه القراءات من كتب الحجج وغيرها.
- ذكرت عبارة (وقرأ الباقون) وأردت بهم القراء السبعة.
- هذه هي أغلب المسائل اللغوية الواردة في كتاب شرح الرضي على الكافية، ما عدا المكررة.

واللهَ أسأل أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، والحمد لله أولا وآخرا.

المسائل اللغوية:

المسألة الأولى:

قرأ أبو عمرو قوله تعالى: (حَاشَ لِلَّهِ) يوسف: (٣١، ٥١) بألف في الوصل، وقرأ الباقون بغير ألف وصلاً ووقفاً [(١)].

فالحجةُ لمن أثبتها: أنه أخذه من قولك: حاشى يُحاشى.

والحُجَّةُ لمن حذفها أنه اكتفى بالفتحة من الألف فحذَفها، واتّبع فيها خط السواد[(٢)].

وأورد الرضي قراءتها بالتنوين: (حاشاً للهِ) وهي قراءة شاذة، على أنها مصدر بمعنى: تنزيها لله [(٣)].

(حاشا) لها استعمالات في النحو العربي، الاستعمال الأول: حرف جر قال الجميح الأسدي:

حاشا أبي ثوبانَ إنَّ بِهِ ضنّاً على المُلحاةِ والشَّتْمِ[(٤)].

---

(١) التيسير في القراءات السبع:٩٨، ينظر شرح الرضي، ٣٠٩/١.

(٢) الحجة في القراءات السبع:١١١.

(٣) شرح الرضي على الكافية ٣٠٩/١.

(٤) المحُتَسب ١٢/٢.

الاستعمال الثاني: فعل ماض، حكى أبو عثمان المازني عن أبي زيد قال: سمعت أعرابياً يقول: اللهُم اغفر لي ولمن سمع حاشا الشيطانَ وابا الأصبعِ، فنصب بحاشا، وهذا دليل الفعلية(١).

المسألة الثانية:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]. قرأ نافع بخلف عن ورش: (ومحياىْ) بسكون الياء الثانية مطلقا، مع المد المشبع لأجل الساكنين، وقرأ الباقون بتحريكها بالفتح(٢). (وذلك إما لأن الألف أكثر مدّاً من أخويه، فهو يقام مقام الحركة من جهة صحة الاعتماد عليه. وإمّا لإجراء الوصل مجرى الوقوف، ومع هذا فهو عند النحاة ضعيف، وجاء في لغة بني يربوع فيها: الكسر مع الياء قبلها، وذلك لتشبيه الياء بالهاء بعد الياء، كما في: فيه، ولديه، ومنه قراءة حمزة: (وما أنتم بمصرخيِّ) إبراهيم: ٢٢، وهو عند النحاة ضعيف)(٣).

قال النحاس: "ولا يجوز أن يحمل كتاب الله على الشذوذ، ونص قطرب على أنها لغة في بني يربوع، وسئل أبو عمرو بن العلاء فقال: هي بالخفض حسنة فأبو عمرو إمام لغة، وإمام قراءة، وعربي صريح، وقد أجازها وحسنها".(٤)

أما قراءة الفتح فحينئذٍ لأمد، وهي قراءة الباقين، وكل من فتح الياء في الوصل يجوز له في الوقف الأوجه السابقة من أجل السكون العارض(٥). وهذه الياء من الياءات التي اختلفوا فيها بين الإضافة والزوائد(٦).

المسألة الثالثة:

---

(١) ينظر: المُحتْسَب ١٣/٢ ، وشرح ابن عقيل:٥٦٥/١.

(٢) ينظر: كتاب السبعة في القراءات: ٢٠٨، وشرح الرضي ٢٦٥/٢.

(٣) شرح الرضي ٢٦٥/٢، ينظر: البدور الزاهرة ١١٣.

(٤) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٦/ ٤٢٨ – ٤٢٩.

(٥) ينظر: البدور الزاهرة: ١١٣– ١١٤.

(٦) ينظر: كتاب السبعة:٢٠٩.

قرأ حمزة والكسائي قوله تعالى: ((إما يبلغنَّ)) الإسراء:٢٣ بكسر النون وألف قبلها (يبلغانِّ) وقرأ الباقون بفتحها من غير ألف[١].

فالحجةُ لمن أثبت الألف: أنه جعلها ضميراً للوالدين، وكناية عنهما لتقدّمهما، وأسقط النون التي هي علامة الإعراب لدخول حرف الشرط وأتى بنون التأكيد الشديدة، وبني الفعل معها؛ لأنها مانعةٌ من الإعراب، وكسرت تشبيهاً بنون الاثنين[٢].

والحجةُ لمن طرح الألف: أنه صاغ الفعل لقوله: (أحدهما) ونصب الكبر بتعدّي الفعل إليه، وأتى بالنون الشديدة لدخول (إمّا) على الفعل؛ لأنها قلّما تدخل على فعلٍ إلا أتى فيه بالنون الشديدة للتأكيد.

فإن قيل: فإذا رفعت (أحدهما) ها هنا بفعله فبمَ ترفعه مع الألف؟ فقل في ذلك غير وجه. أحدهما: أنه يرتفع بدلاً من الألف التي في الفعل[٣]. قال الرضي: هو بدل، لأنه معطوف على البدل[٤].

والثاني: أنه يرتفع بتجديد فعل مضمر، ينوب عنه الظاهر. [٥]

والثالث: أنه يرتفع على إعادة سؤال وإجابة، كأنه قيل: من يبلغ الكبر؟ فقل: أحدهما أو كلاهما، وعلى هذا الوجه يحمل قوله تعالى ((وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ)) الأنبياء:٣٠.

فإن قيل: فلِمَ خُصّا بالبرِّ عند الكِبرَ؟ فقل إنما خصّا بذلك، وإن كان لهما واجباً في سائر الأوقات، لأنهما عند الكبر يثقل عليهما الاضطراب والخدمة، فخصّا بالبر فيه لذلك.

وتقول العرب: لَفلانٌ أبرُّ بوالديه من النّسْر؛ لأن أباه إذا كَبر، ولم ينهض للطيران لزم وَكْرَهُ وعاد الفرخ عليه فزقّه، كما كان أبوه يفعل به [٦].

---

(١) التيسير: ١٠٦، ينظر: شرح الرضي ٢/٣٧٤.

(٢) الحجة في القراءات السبع في القراءات السبع، في القراءات السبع:١٢٥.

(٣) الحجة في القراءات السبع في القراءات السبع، في القراءات السبع: ١٢٥.

(٤) شرح الرضي ٢/٣٧٤.

(٥) الحجة في القراءات السبع: ١٢٥.

(٦) الحجة في القراءات السبع:١٢٥، ١٢٦.

المسألة الرابعة:

قرأ ابن كثير بوصل هاء الكناية[١]. عن الواحد المذّكر إذا انضمّت وسكن ما قبلها بواو، وإذا انكسرت وسكن ما قبلها بياء، نحو: عليهي، ومنهو، ونحوهما[٢].

وقرأ الباقون على أربع لغات أخرى لكل قارئ لغة وهي:

الأولى: كسر الهاء من غير وصل بياء.

الثانية: كسرها مع وصلها بياء نحو: بهي وعليهي.

الثالثة: ضم الهاء بلا واو، نحو: عليهُ، وبهُ.

الرابعة: ضم الهاء مع الواو نحو: عليهُو، وبهو[٣].

ذهب الرضي إلى أن كسر الهاء من غير وصل بياء، وهو بعد الياء أكثر منه بعد الكسر؛ لأنه في الأول شبه التقاء الساكنين. وأما بقية القراءات فهي لغات وقد قرئ بها كلها في الكتاب العزيز[٤].

جاء في كتاب (بلاغة الكلمة في التعبير القرآني) للدكتور فاضل صالح السامرائي ما يأتي[٥]: وردت في القراءة المشهورة كلمات محركة بغير الحركة الإعرابية المألوفة المشهورة وذلك نحو قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ ﴿١٠﴾﴾ [الفتح: ١٠]، بضم الهاء من (عليه) مع أن المشهور في نحو هذا كسر الهاء، قال الله تعالى ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الشعراء:١٠٩]، وقال:(وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) [القصص: ١١].

ويحسن أن أشير هنا إلى أن ضم الهاء في نحو هذا لغة الحجاز، وأما غيرهم فيكسرها. وهنا يعرض سؤال، وهو لماذا ورد الضم هنا دون الكسر؟

---

(١) هاء الكناية: هاء المفرد المذّكر الغائب.

(٢) ينظر: التيسير:٢٤، وشرح الرضي ٤٢٢/٢.

(٣) ينظر: كتاب السبعة: ٩٣، شرح الرضي ٤٢٢/٢.

(٤) ينظر: شرح الرضي٤٢٢/٢.

(٥) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص: ١٠٢ – ١٠٤.

وينبغي لنا قبل أن نجيب عن السؤال أن نشير إلى حقيقة لغوية معلومة اتفق عليها علماء اللغة قديماً وحديثاً، وهي أن الضمة أقوى الحركات وأثقلها ثم تليها الكسرة ثم تليها الفتحة وهي أخف الحركات.

وقد يسبق إلى الوهم أن الكسرة أثقل من الضمة لما سمعوه وتعلموه من قواعد كتابة الهمزة أن الكسرة أقوى الحركات بالنسبة إلى رسم الهمزة ثم الضمة ثم الفتحة، فنقول: إنّ هذا أمر إملائي لا عَلاقة له بالنطق ولا عَلاقة له بالحقيقة اللغوية الثابتة.

إن النطق بالضمة يحتاج إلى جهد عضلي أكثر من الكسرة والفتحة، وذلك لأنها لا تنطق إلاّ بانضمام الشفتين وارتفاعهما ولا تحتاج الكسرة ولا الفتحة إلى ذلك كما هو ظاهر ومعلوم، وهـــذه الحقيقة تفسر كثيراً من الظواهر اللغوية في الأبنية والتأليف ونعود الى مسألتنا لنرى سر التعبير في نحو ما مر. (١)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾الفتح: (١٠).

فقال: (عليهُ) فجاء بالضمة التي هي أثقل الحركات للدلالة على ثقل هذا العهد وعظمه، وذلك من جملة أنواع فيها: (٢)

أ- أنه قال: ((إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ)) وهذه البيعة كانت يوم الحديبية وكانت بيعة على الموت في نصرة رسول الله، ونصرة دينه، والبيعة على الموت أشد وأثقل أنواع البيعات وأقواها.

ب- وقال: ((إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ)) وهذا تعظيم لهذه البيعة التي يكون فيها الله هو الطرف المبايع.

ج- وقال: ((يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)) وهذا توكيد لما قبله وتوثيق لأمر هذه البيعة العظيمة.

---

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٢ – ١٠٤.

(٢) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ١٠٢ – ١٠٤ ، وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٢٥/ ٣٤٣.

د- حذر من نكث هذه البيعة ونقض هذا العهد، وقال: إن ضرر نكثه يعود على الناكث نفسه.

هـ- وذكر أن من أوفى بهذا العهد سيؤتيه الله أجراً عظيماً، فهو كما ترى عهد عظيم ثقيل فناسب أن يأتي بأثقل الحركات وهي الضمة مجانسة لثقل هذا العهد. ثم إن الضمة ينطق معها لفظ الجلالة بتفخيم اللام بخلاف الكسرة، فإنها ينطق معها لفظ الجلالة بترقيق اللام، فجاء بالضم ليتفخم النطق بلفظ الجلالة إشارة إلى تفخيم العهد فتناسب بين تفخيم الصوت وتفخيم العهد، وهو تناظر جميل.

وهذا يدل أن لكل حركة في القرآن دلالة ومعنى تختلف بحسب القوة والضعف والتطويل والتقصير من حركة لأخرى، من آية لآية، ومن سياق لآخر.

والرأي الآخر في هذه المسألة أنّ هذه القراءات هي مذاهب متواترة لهؤلاء القرّاء السبعة الذين أجمعت الأمة عليهم، فالقراءة سنة متبعة.

المسألة الخامسة:

قرأ أبو عمرو ((اللاّئي)) حيث وقع، ومنه في سورة الطلاق:٤، بإسكان الياء [اللاىْ]، من غير همزة، وقرأ الباقون بهمزة مكسورة وياء بعدها[١].

قال أبو عمرو: هي لغة قريش كأنهم حذفوا الياء بعد الهمزة، ثم أبدلوا الهمزة ياءً من غير قياس ثم أسكنوا الياء اجراءً للوصل مجرى الوقف؛ وقد يقال: اللّوَا؛ بحذف التاء والياء معاً، وقد يقال: اللاءَات[٢].

وقال مكي بن أبي طالب القيسي: (والذين أسكنوا الياء، خَففّوا الهمزة على البدل)[٣]، أما حجة الباقين فقال عنها مكي: أصل ((اللاتي)) بهمزة وياء بعدها، لأنه بمنزلة ((اللاتي)) فالهمزة بإزاء التاء. وعلّل قوله بأنه الأصل وعليه الأكثر[٤].

---

(١) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: ١٩٣/٢، شرح الرضي:٢١/٣.

(٢) شرح الرضي ٢١/٣.

(٣) الكشف:١٩٣/٢.

(٤) ينظر: الكشف ١٩٣-١٩٤، النشر ٣٣٣/٢.

والرأي في هذه القراءة أن هذه القراءات هي كلها لغات مسموعة لا أثر لتغيير المعنى باختلاف القراءة فيها، يقصد بها التخفيف.

المسألة السادسة:

(ما قرؤوه بالتنوين وبغير التنوين): قرأ حمزة والكسائي قوله تعالى: ((ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ)) [الكهف:٢٥] بغير تنوين، والباقون بالتنوين(١).

قال الرضي نقلاً عن الزجاج: لو انتصب سنين على التمييز لوجب أن يكونوا لبثوا تسعمائة سنة، ووجهه: أنه فهم أن مميز المائة، واحدة من مائة، كقولك: مائة رجلٍ، فرجل واحد من المائة، فلو كان ((سنين)) تمييزاً، لكان واحداً من ثلثمائة، وأقل السنين: ثلاثة، فكأنه قال: ثلاثمائة ثلاث سنين، فتكون تسعمائة(٢).

أما ابن خالويه فقال: (والحجة لمن أضاف: أنه أتى بالعدد على وجهه، وأضاف على خفة بالمفسر مجموعاً على أصله، لأن إجماع النحويين على أن الواحد المفسّر من العدد معناه الجمع)(٣).

والحجة لمن أثبت التنوين: أنه نصب سنين بقوله((ولبثوا)) ثم أبدل ثلثمائة منها فكأنه قال: ولبثوا سنين ثلثمائة، كما تقول: صمت أياماً خمْسة. ووجه ثان، أنه ينصب (ثلثمائة) بلبثوا، ويجعل (سنين) بدلاً منها أو مفسّرة عنها.(٤)

والذي يظهر لي من المعنى لغويا القراءة الثانية؛ لأن التمييز يكون مفرداً، والمعنى على عدم التنوين أنهم لبثوا تسعمائة سنة لأن أقل السنين ثلاث، والقراءة بالتنوين على البدل هو أقيس نحوياً.

المسألة السابعة:

ما قرأوه بالتنوين والهمزة، وبالتنوين وحذف إحدى الهمزتين. قرأ نافع وأبو عمرو قوله تعالى: (عَادًا الأولى) النجم:(٥٠)، بضمّ اللام بحركة الهمزة وإدغام النون فيها، وقرأ

---

(١) التيسير:١٠٩، وينظر: شرح الرضي:٣/٣٠٥.

(٢) ينظر: شرح الرضي: ٣/٣٠٥-٣٠٦.

(٣) الحجة في القراءات السبع: ١٣١.

(٤) ينظر: الحجة في القراءات السبع:١٣٠.

نافع براوية قالون بهمزة ساكنة بعد ضم اللام، والباقون يكسرون التنوين ويسكنون اللام ويحققون الهمزة بعدها(١).

فالحجة قراءة نافع براوية قالون عند مَن قال هو من: وَأل، أصل: أُولى: وُؤلى، قلبت الواو همزة كما في أجوه، ثم قلبت الهمزة الثانية الساكنة واواً، كما في: أُومِنُ، ولهذا رجع الى أصل الهمزة في قراءة قالون؛ لأنه حذفت الأولى وحركت لام التصريف بحركتها، فزال اجتماع الهمزتين(٢).

والحجة لمن قرأ بالإدغام وهمز الواو أنه أتى بالهمز ليدل بذلك على الهمزة التي كانت في الكلمة قبل الإدغام(٣). وحجة الباقين: أنه أتى بالكلام على أصله، ووفّى اللّفظ حقيقة ما وجب له، وكسر التنوين لالتقاء الساكنين(٤). والرأي المختار هي قراءة الباقين على أصل الكلام وحقيقة اللفظ وكسر التنوين لالتقاء الساكنين.

المسألة الثامنة: ما قرأوه بالألف المقصورة وبالتنوين. قرئت في الشواذ(حسنى) البقرة:٨٣، بالألف وهي قراءة طلحة بن معروف(٥). وقرأ حمزة والكسائي بفتح الحاء والسين، وقرأ الباقون بضم الحاء وإسكان السين(٦).

وَجّه الرضي قراءة الألف بقوله هذه اللفظة ليست تأنيث أحسن، بل مصدر أحسن، كالرجعى والبشرى(٧). وحجة حمزة والكسائي أن ((حَسَناً)) وصف للقول الذي كُف عن ذكره لدلالة وصفه عليه، كأن تأويله ((وقولوا للناس قولاً حَسَناً)) فترك (القول) واقتصر على نعته. وقد نزل القرآن بنظير ذلك فقال جلّ وعز(وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ)

---

(١) ينظر: التيسير: ١٥٨، شرح الرضي:٣/٤٦٠.

(٢) ينظر: شرح الرضي٣/٤٦٠.

(٣) الحجة في القراءات السبع: ٢٢٠.

(٤) المصدر نفسه:٢٢٠.

(٥) ينظر: القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي:٨١، شرح الرضي:٣/٤٦٣.

(٦) التيسير:٥٦، وحجة القراءات لابن زنجلة:١٠٣.

(٧) شرح الرضي:٣/٤٦٣.

الرعد: (٣)، ولم يذكر الجبال، وقال:﴿ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ ﴿١١﴾ ﴾ سبأ: ١١، ولم يذكر الدروع إذ دل وصفها على موصوفها[١].

وحجّة الباقين أن الحُسْن يجمع و(الحسن) يتبعض، أي:(قولوا للناس الحُسْن في الأشياء كلها، فما يجمع أولى مما يتبعض[٢].

والرأي في هذه القراءة أن أصح معنى من القراءة الواردة هي القراءات الأخيرة وهي: أن نقول للناس الحسن في الأشياء كلها. والمعنى الذي ذهب إليه حمزة والكسائي هو معنى صحيح وقـــوي أيضاً على أنها وصــف لموصوف محذوف. وكذلك أرجح القراءتين الأخيرتين؛ لأنهما قراءتان سبعيتان.

المسألة التاسعة:

ما قرأوه بتاء (الخطاب) و (بياء الغيبة) إذ قرأ يعقوب – من راوية رُوَيس – ((فبذلك فلتفرحوا)) يونس:٥٨، بالتاء، وقرأ الباقون بالياء.[٣]

فالحجة لمن قرأه بالتاء: أنه أراد بها: مواجهة الخطاب للصحابة (رضي الله عنهم جميعاً). وحجة الباقين على أمر الغائب ، أي ليفرح المؤمنون بفضل من الله أي الإسلام وبرحمته أي القرآن، خير مما يجمعه الكافرون في الدنيا[٤].

المسألة العاشرة:

ما قرأوه بالقصر والمد. إذ قرأ عاصم – من رواية شعبة – : ((رَدْمًا آتُونِي)) الكهف: (٩٦,٩٥) بكسر التنوين وهمزة ساكنة بعده من باب المجيء، وقرأ الباقون على المد[٥]. فالحجة لمن قصر: أنه جعله من المجيء[٦]. والحجة لمن مد: أنه

---

(١) ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة:١٠٣.

(٢) ينظر: حجة القراءات:١٠٣.

(٣) ينظر: حجة القراءات:٣٣٣، شرح الرضي:٤/٨٤.

(٤) ينظر: حجة القراءات:٣٣٣.

(٥) ينظر: السبعة:٢٩٥، وشرح الرضي ٤/١٤٠.

(٦) الحجة في القراءات السبع: ١٣٨.

جعله من الإعطاء[١]. واذا كان الفعل بمعنى الإعطاء فهو يأخذ مفعولين الأول هو الياء والثاني هو زُبَر.

المسألة الحادية عشر:

ما قرأوه بالياء (على التذكير)، وقرأه غيرهم بالتاء على التأنيث إذ قرأ حمزة، وعاصم براوية حفص قوله تعالى: (كَادَ يَزِيغُ) التوبة:(١١٧)، بالياء، وقرأ الباقون بالتاء[٢].

فالحجة لمن قرأ بالياء: أنه حمله على تذكير (كاد)، أو لأنه جمع ليس لتأنيثه حقيقة[٣].

والحجة لمن قرأه بالتاء: أنه أراد تقديم(القُلوب) قبل الفعل فدلَّ بالتاء على التأنيث، لأنه جمع[٤].

المسألة الثانية عشر:

ما قرأوه بفتح النون وكسر العين، وقرأه غيرهم بكسر النون وإسكان العين، وقرأه آخرون بكسر النون والعين في قوله تعالى (فَنِعِمَّا هِيَ)[٥]. قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ((فَنَعّمِا هيَ)) البقرة:٢٧١ بفتح النون وكسر العين، وقرأ نافع – في غير رواية ورش – وأبو عمرو، وعاصم – برواية أبي بكر والمفضل – بكسر النون، وإسكان العين. وقرأ ابن كثير وعاصم براوية حفص، ونافع براوية ورش بكسر النون والعين[٦].

فالحجة لمن فتح النون وكسر العين: أنه أتى بلفظ الكلمة على الأصل لأن أصلها: نَعِم، وبَئِس. والحجة لمن أسكن العين وجمع بين ساكنين فاحتمل ذلك، لأنه جعل ((نعم)) و((ما)) كلمة واحدة، فخففها بإسكان.

---

(١) المصدر نفسه، ١٣٨.

(٢) ينظر: السبعة: ٢٣٩، شرح الرضي: ٢١٨/٤.

(٣) الحجة في القراءات السبع: ١٠٠.

(٤) المصدر نفسه:١٠٠.

(٥) السبعة:١٤٧، ينظر: شرح الرضي ٢٣٩/٤.

(٦) السبعة:١٤٧.

والحجة لمن كسر النون: أنه قربها من العين ليوافق بها لفظ أختها: (بئس) لأن هذه في المدح كهذه في الذم[١].

وهذه القراءات الثلاث هي لغات لا تغير في المعنى، وكلها جاءت للتيسير.

المسألة الثالثة عشرة:

قرأ الجمهور بكسر النون وسكون العين، وقرأ يحيى بن وثاب بفتح النون وسكون العين في قوله تعالى (فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) [الرعد: ٢٤] ، وقرأ الباقون بلغات أخرى وبإشباع الكسرة ياءً[٢].

قال أبو الفتح: أصل قولنا: نِعْم الرجل ونحوه نَعِمَ كعَلِمَ. وكل ما كان على فَعل وثانيه حرفٌ حلقي فلهم فيه أربع لغات: وذلك نحو فَخِذ ومَحِك، ونَعِز، بفتح الأول وكسر الثاني على الأصل. وإن شئت أسكنت الثاني وأقررتَ الأول على فتحه فقلت: فَخْذ، ومَحْك ونَغْر، وإن شئت أسكنت ونقلت الكسرة إلى الأول فقلت: فِخْذ، ومِحْك ونِفْر. وإن شئت أتبعت الكسر الكسر فقلت: فِخِذ، ومِحِك ونِغِر. كذلك الفعل نحو ضَحِك، وإن شئت ضَحْك، وإن شئت ضِحْك، وان شئت ضِحِك.

فعلى هذا تقول: نَعِمَ الرجل، وإن شئت نَعْم. وإن شئت نِعْمَ، وإن شئت نِعِمَ. فعليه جاءَ:(فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) الرعد:(٢٤). وأَنشَدَنا أبو على لطرافة:

ففداءٌ لبني قيسٍ على ما أصابَ النّاسَ مِن سُرٍّ وضُرِّ

ما أقلَّتْ قدمِي إنّـهمُ نِعَمَ السّاعونَ في الأمرِ المُبِرّ[٣].

وروينا عن قطرب: نَعيم الرجل زيد، بإشباع كسرة العين وإنشاء ياء بعدها كالمطافيل والمساجيد. ولا بد أن يكون الأمر على ما ذكرنا، لأنه ليس في أمثلة الأفعال فِعيل البتة[٤].

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ٤٧.

(٢) ينظر: المُحْتَسب:٢/٢٩-٣٠، شرح الرضي ٤/٢٣٩ ، معجم القراءات: ٤/ ٤١٣ – ٤١٤.

(٣) ديوان طرفة: ٤٥، (وهناك رواية أخرى للبيت الثاني وهو: خالتي والنفسُ ، قِدْماً ، إنَّهم * نَعِمَ السّاعون في القوم الشُّطر) ينظر: خزانة الأدب: ٩ / ٣٧٦.

(٤) المُحتسب:٢/٢٩-٣٠.

والرأي في هذه القراءات أنّ لفظتي (نعم وبئس) كلمات في المدح والذم. وعلى هذا فهي لغات مشهورة لا تؤثر في المعنى عند تغيير الحركة. **والله أعلم.**

الخاتمة

١- وقف الرضي موقف المنكر من تواتر القراءات القرآنية، وذكر ذلك صراحة في الجزء الثاني من كتابه شرح الرضي على الكافية في النحو، وبأكثر من موضع إذ قال: ولا نسلم تواتر القراءات السبع، وإن ذهب إليه بعض الأصوليين.

٢- يمكننا الرد على الرضي من موقفه لإنكار تواتر القراءات بالأحاديث الصحيحة الواردة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ((إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه)) وإجماع كتب القراءات المعتمدة على ذلك.

٣- لم يمنع إنكار الرضي لتواتر القراءات من إيراد قراءات كثيرة وهامّة توزعت بين قراءة سبعية، وقراءة شاذة، بلغت من خلال إحصائي للأجزاء الأربع – أكثر من خمسين قراءة، كانت حصة المسائل اللغوية منها ثلاث عشرة مسألة.

٤- يعد الرضي عالماً فذّاً، قلت المصادر التي أوردت حياته. وله شرحان مهمان في النحو والصرف هما: شرح الرضي على الكافية (في النحو) ، وشرح الرضي على الشافية (في الصرف).

٥- يعد شرح الرضي موسوعة علمية نحوية ولغوية أورد أغلب المسائل المتعلقة بالنحو والصرف واللغة من كتب من سبقوه من العلماء الأفذاذ مع الشروح والردود والترجيح وإيراد القراءات القرآنية من أول شرحه إلى نهايته.

٦- إنّ دراسة المسائل اللغوية من: ألف وصل ووقف، وسكون، وهاء كناية، وتسكين الياء وفتحها، والتنوين وترك التنوين، والهمز والتحقيق والتسهيل، وإيراد الآية بتاء الخطاب أو بياء الغيبة ، وقراءة قصر الهمزة ومدِّها، وغيرها من المسائل تعين طالب العربية على التوسع في الفهم والإدراك، وإيجاد حجة عقلية ونقلية توافق لهجات العرب ولو على واحدة من القبائل تعين على فهم القرآن الكريم.

٧- اجتمعت جهود العلماء في التأليف والشرح والتوجيه للقراءات القرآنية؛ خدمة لكتاب الله عز وجل، وعلى وفق المعايير والسياقات اللغوية والنحوية المتبعة عند العرب. ويتضح ذلك في كتب النحو والشروح عليها، ومنها شرح الرضي الذي يعد موسوعة في بابه.

٨- وجدتُ أن أغلب الخلاف في القراءة الواحدة تعود إلى تعددّ اللهجات واللّغات على حسب كل قبيلة ؛ لقراءتها ومعرفة أحكامها ومعانيها.

١٠- ضرورة الاعتناء بالقراءات القرآنية وتوجيهها اللغوي والنحوي ؛ لتكون وسيلة فهم للقرآن الكريم وحفظه، لذا أقترح فتح أقسام خاصة بالقراءات القرآنية ، لاسيما في الكليات الشرعية ، وكليات اللغة العربية وعلوم القرآن.

والله من وراء القصد

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- البحر المحيط في التفسير، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (٧٥٤هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٢- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرّى: لعبد الفتاح القاضي – دار الكتب العربي بيروت – لبنان، ط١ ، ١٤٠١هـ -١٩٨١م.

٣- بغية الوعاة ، للسيوطي (ت ٩١١هـ) تح: محمد أبي الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية – بيروت (د. ت).

٤- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: للأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك، ط٢ القاهرة ، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م.

٥- التيسير في القراءات السبع: للإمام أبي عمرو عثمان بن السعيد الداني (٤٤٤هـ)، تح الشيخ: جمال الدين محمد شرف.

٦- حجة القراءات: للإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة، تح: سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٥ ، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

٧- الحجة في القراءات السبع، للإمام عبد الله الحسين بن أحمد بن خالوية (ت٣٧٠هـ)، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان – ط٢ ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.

٨- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: للإمام عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) تح وشرح: محمود عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط٤ ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٩- الخصائص: للإمام أبي الفتح عثمان بن جني ت (٣٩٢هـ)، عالم الكتب، تح: محمد علي النجار، (د.ت).

١٠- ديوان طرفة بن العبد ، شرحه وقدّم له: مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ٢٠٠٢.

١١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة السيد محمود الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) تح: سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، (د.ت).

١٢- السبعة في القراءات: للأمام أبي بكر أحمد بن موسى ابن مجاهد البغدادي (٣٢٤ هـ) تح الشيخ: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة – بطنطا- مصر، ط١ ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

١٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن عماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) ، دار المسيرة – بيروت ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١٤- شرح الرضي على الكافية، للإمام محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي (٦٨٦هـ) تح.د. يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قاريونس، ط ، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

١٥- صحيح البخاري: للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١ ،١٤٢٢هـ،

١٦- القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، للدكتور: محمد أحمد الصغير، دار الفكر دمشق ، ط١ ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

١٧- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: للإمام محمد بن مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، تح. د: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة- بيروت ط٤ ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

١٨- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: للإمام أبي الفتح عثمان بن جنيّ (٣٩٢هـ)، دراسة وتح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

١٩- معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم: قدم له الشيخ: محمد سيد طنطاوي، الناشر: ذوي القربى، قم، ط٤، ١٣٨٤هـ.

٢٠- معجم القراءات، الدكتور عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، د. ت.

٢١- موقف النحاة من القراءات القرآنية من خلال تفسير ابن عطية للدكتور: ياسين جاسم المحميد- دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢٢- النشر في القراءات العشر، للإمام شمس الدين، أبي الخير ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، د.ت.